تمهيد

مـــن ذا يعـــيرك عينـــه تبكـــى بهـــا أرايـــــت عـــــين للبكـــــاء تعـــــار!!

نتعرض في تلك الدراسة لتفنيد الرواية "الإسرائيلية" التاريخية التي تحدثت عن "انتقال طوعي" جماعي أقدم عليه مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين قرروا أن يهجروا بيوتهم وقراهم مؤقتاً من أجل ان يفسحوا الطريق أمام الجيوش العربية الآتية لتدمير الدولة اليهودية الوليدة عام 1948[1].

يؤكد شيمون بيريز أن: "الفلسطينيون هربوا من قراهم ومدنهم في سنة 1948 بأوامر من قادتهم"[2] وتدعي السلطات "الإسرائيلية" والحركة الصهيونية في الدعاية الرسمية وفي المحافل الدولية أن العرب هم من هربوا من البلاد، وكانت البلاد فارغة وادعى "الإسرائيليون" والصهيونيون دائماً أن ما حدث سنة 1948 م هو أن الزعماء العرب طلبوا من الفلسطينيين مغادرة قراهم ومدنهم مؤقتاً، ريثما تقوم الجيوش العربية بالقضاء على الدولة اليهودية الوليدة. فاستجاب عدد كبير من الفلسطينيين لهذا الطلب، وخرجوا بمحض إراداتهم، ظانين أنهم سيعودون إلى بيوتهم بعد فترة وجيزة – ولكن الجيوش العربية فشلت في مهمتها، فطالت فترة الانتظار حتى أصبح الفلسطينيون لاجئين Refugees، ويدعي البعض منهم أنهم طلبوا منهم البقاء والعيش كمواطنين في دولة يهودية لكن العرب آثروا الرحيل[3].

---

(1) إيلان بابه: التطهير العرقي في فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ترجمه أحمد خليفة، 2007 ص 4.

(2) Shimon Peres, The New Middle East, With Arye Naor (London: Shaftesbury) Element Books, 1993), p. 198

(3) واصف منصور: مسألة اللاجئين جوهر القضية الفلسطينية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت 2008، ص 176.

obeikandl.com

وهـدفت الدعايـة الـصهيونية Propaganda إلى المحافظـة علـى صـورة "اسـرائيل" كمجتمع عادل وأخلاقي لا تشوبه شائبة؛ حيـث أدركـت أن الدعايـة العاطفيـة لهـا اليـوم حكم السيف وأن أبواب الأرشيفات ستبقى موصدة،وعليه سيكون من العـسير الوصـول إلى جذور مشكلة اللاجـئين الفلـسطينيين Palestinian refugees، وظـل الوضـع كـذلك حتى نفضت الأرشـيفات عـن غبارهـا مـؤخرا وكـشفت للـرأي العـام الحقيقـة التاريخيـة المؤلمة[1].

لقد مارست الحركة الصهيونية[2] Zionism مـن أجـل تحقيـق كيـان يهـودي مـزور إرهابها ضد الشعب العربي في فلسطين لإكراهه على تـرك بـلاده وهجـر أراضـيه، حتـى تبقى لهم الأرض خاليـة مـن الـسكان No Man's Land. ولـيس مـن شـك في أن مجمـل السياسة الأمنية الصهيونية الشاملة: العسكرية والـسياسية والاقتـصادية والـسكانية، كانـت تقوم ضمن إطار الاستراتيجية الصهيونية الرامية إلى تفريغ الأرض العربيـة مـن أصـحابها وتهويدها، واستيطانها بأفواج الغزاة اليهود[3] الجـدد القـادمين مـن أنحـاء العـالم، والعمـل

(1) يوسي ميلمان: الاسرائيليون الجدد، ترجمه مالك البديري، دار الأهلية للنشر، الأردن ، ص 76.

(2) صهيونية Zionism (بالعبرية:ציונות): هي حركة سياسية دينية يهودية تهدف إلى إقامة دولة يهوديـة في فلسطين، وذلك بتـشجيع هجـرة اليهـود في أنحـاء العـالم كافـة إلى فلـسطين وإغـرائهم بالأمـاني والأحلام الوردية التي تنتظرهم في الأراضي الفلسطينية لإقامة المستعمرات اليهودية. وقـد حققـت الصهيونية أول أهدافها بعد الحرب العالمية الثانية، بإعلان قيام دولة يهوديـة في فلـسطين واعـتراف عدد من الدول بها وقبولهـا عـضوا في الأمـم المتحـدة وقـد تـضافرت جهـود كـل مـن بريطانيـا و الولايات المتحدة لإنجاح هـذه الحركـة مـن خـلال الـدعم المـستمر لهـا، راجـع، فتحـي الإبيـاري: الصهيونية، دار المعارف، سلسلة كتابك، رقم 13.

(3) اليهود: اسم قبيلة، مأخوذ من الهود: أي التوبة، ومعنى هاد يهود هودا وتهود: تاب ورجع إلى الحـق فهو هائد، وفي سورة الأعراف يقـول تعـالى علـى لـسان موسـى عليـه الـسلام: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف: 156) أي تبنا ورجعنا، ويقـول تعـالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: 111] والمراد: يهودا، فحذف

بصورة مستمرة على تهجير Transfer أكبر عدد ممكن من المواطنين العرب الفلسطينيين بشتى وسائل الترغيب والترهيب"[1].

والمشروع الصهيوني جاء منذ البداية ملوحاً بخلخلة المجتمع الفلسطيني، وطرد الفلسطينيين Expulsion عن ترابهم الوطني، والتوصل بتهجيرهم وبعثرتهم إلى إزالة مجتمعهم، وضمان عدم إمكانية ظهوره من جديد إلى ما كان الصهاينة يأملونه، وهو تشتيت الفلسطينيين في الأقطار المجاورة[2]. أو كما قال أحد الباحثين كان مشروعاً كبيراً للتطهير العرقي[3] لكي تسود سيطرتهم في البلاد فيتمكنوا من صبغ فلسطين بالصبغة اليهودية، ومن ثم إجلاء الفلسطينيين Evacuation إلى خارج فلسطين، وسلب Pillage حقوقهم والإقامة مكانهم[4].

وقد أكد المفكر الصهيوني البريطاني إسرائيل زانغويل Israel Zangwill (1864 – 1926) [5]، في كتاباته الأولى – 1917 – على ضرورة طرد العرب وترحيلهم، فيقول: " يجب ألا يسمح

الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية. وقد ورد ذكر اليهود في القرآن الكريم باسم (الذين هادوا) عشر مرات، وباسم (اليهود) ثماني مرات، وباسم (هوداً) ثلاث مرات، لسان العرب 3: 340، تفسير البيضاوي ص 14.

(1) راجع، نواف الزرو: موجات الغزو الصهيوني: صراع البقاء والإجلاء 1882 ـ 1990، دار اللوتس، عمان، الأردن، 1990، ص75.

(2) الياس صنبر: فلسطين: التغيب 1948، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987، ص20.

(3) Saleh abdel Jawad, "Massacres and the Creation of the Palestinian Refugees Problem in the 1948 War," in Max Planck Institute for Comparative Public and International Law, Proceedings of the International Conference Israel and the Palestinian Refugees, Heidelberg, July 2003. Forthcoming 2005.

(4) إيلان هاليفي، المسألة اليهودية، ترجمة فؤاد جديد، مكتب الخدمات الطباعية، دمشق، 1986، ص237.

(5) للمزيد عن شخصيته، راجع، عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة 1975، ص 205.

openkanal.com

للعرب أن يحولوا دون تحقيق المشروع الصهيوني؛ ولذا لا بد من إقناعهم بالهجرة الجماعية، أليست لهم بلاد العرب كلها، ليس ثمة من سبب خاص يحمل العرب على التشبث بهذه الكيلومترات القليلة، فهم بدو رحّل يطوون خيامهم وينسلون في صمت وينتقلون من مكان لآخر"[1].

ودعا الصهاينة إلى انتهاج سياسة القوة لاعتقادهم بأن القوة وحدها هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب لإجبارهم على الرحيل من وطنهم، وأخذوا يعتمدون عليها لتحقيق أهدافهم العنصرية والاستيطانية [2]، وكانت فكرة نفي الوجود الفلسطيني بتشتيته قد عبَّر عنها مناحيم أوسيشكين Ussishkin(1863 – 1941) [3] – أحد قادة الاستيطان 1930م – بقوله:" من المحتم بالدرجة الأولى، أن تكون جميع أراضي فلسطين أو معظمها ملكاً لشعب "إسرائيل". وبدون حق ملكية الأراضي لا تكون فلسطين يهودية أبداً" [4] كما قال أيضاً: " أود أن يذهب العرب إلى العراق وآمل بأن يذهبوا إليه في زمن ما "[5].

وجاء على لسان فلاديمير جابوتنسكيVladimir Jabotinsky [6] أيضاً: " أن العرب يستطيعون التنازل عن فلسطين وشرق الأردن، وتكفيهم الأراضي الأخرى

---

(1) David McDowall, Palestine and Israel (London, New York: I.B. Tauris & Co Ltd), p. 186.

(2) إبراهيم أبولغد: تهويد فلسطين، ترجمة: أسعد الزرو، رابطة الاجتماعيين، الكويت، 1972، ص186.

(3) ولد العام 1863 في بلدة دوفروفنا في روسيا البيضاء. وانتقلت عائلته إلى موسكو العام 1871، ودرس في مدرسة عبرية فيها باسم (الريئالي). وتأثّر بكتابات مفكرين صهيونيين أمثال مابو وشولمان وسمولنسكين، وتوفى اوسيشكين العام 1941. راجع، عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص 76.

(4) أسعد عبد الرحمن ونواف الزرو: موجات الغزو الصهيوني 1882 ـ 1990، دار اللوتس، عمان، 1990، ص3.

(5) نور الدين مصالحة: طرد الفلسطينيين: مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيوني 1882–1948، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1992، ص41.

(6) سيتم تناول شخصيته بالتفصيل في ثنايا الدراسة.

الشاسعة التي يقطنونها، خصوصا وأن عدد سكانها قليل للغاية بالنسبة لمساحتها"[1]، وأكد على وجوب ترحيل العرب بالقوة، لأن ترحيلهم بحسب رأيه شرط أساسي لتحقيق الصهيونية؛ فاقترح في رسالة بعث بها إلى السناتور الأميركي غراسنبيرغ: "إن تأسيس أكثرية يهودية في فلسطين يجب أن يتم عنوة عن إرادة الأكثرية العربية الموجودة في البلاد. وسيرعى عملية إنجاز هذه الأكثرية جدار حديدي من القوة اليهودية المسلحة"[2] لتحرير فلسطين بحد السيف"[3].

واعتبر يوسف فايتس[4] الإنسان العربي الفلسطيني حجر عثرة أمام تحقيق المشروع الصهيوني وأن عمليات وصفقات شراء الأراضي.. قد اصطدمت عشرات المرات بمعارضة الفلسطينيين من ابناء فلسطين الذين تم ترحيلهم عن بيوتهم"[5].

لقد عمل اليهود على الاستيلاء على فلسطين بشكل مخطط ومدروس تحت شعار "أرض بلا شعب لشعب بدون أرض" Land without a People[6]، وبوسائل أتبعت فيها أشرس أساليب التمييز العنصري، مستخدمة ثلاثية: "الضم والاستيطان والتهجير" [7] وكانت محاولات إقامة دولة يهودية تعني بالضرورة تدمير شعب فلسطين العربي أو كما

---

(1) Joseph B. Schechtman, The Vladimir Jabotinsky Story, 2 Vols. (New York: T. Yoseloff, 1956 – 1961), Vol. 2: Fighter and Prophet: The Last Year, p. 55.

(2) ميخائيل بالمبو: كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948، دار الحمراء، بيروت، 1990، ص 27

(3) st. John Robert, They Came from Everywhere, Twelve Who Helped Mold Modern Israel , New York , 1962, p. 124

(4) سيتم تناول شخصيته بالتفصيل في ثنايا الدراسة.

(5) جوني منصور: منقذ الأرض وداعية ترانسفير للفلسطينيين، مجلة قضايا اسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، عدد 11، 12، صيف وخريف 2003 م، ص 163.

(6) يتهكم ايلان بابه المؤرخ الإسرائيلي المنصف على تلك لمقولة قائلاً " أما الفلسطينيون، السكان الأصليون فكانوا في نظر اليهود كائنات غير مرئية أو – إن لم يكونوا كذلك – كانوا جزءاً من عقبات الطبيعة التي يجب التغلب عليها أو إزالتها. إيلان بابه: التطهير العرقي في فلسطين، مرجع سابق، ص 20.

(7) بسام عبد المنعم: المحاولات الصهيونية لتهويد القدس الشريف، كتاب المؤتمر الدولي الأول لنصرة القدس، قدس نت للدراسات والإعلام، 2007 م، ص 232.

قال فايتس[1] في البند المؤرخ بيوم 20 كانون الأول/ ديسمبر1940 من يومياته: " لابد أن يكون واضحاً لنا عدم وجود متسع لشعبين يعيشان معاً في هذه البلاد وليس ثمة من وسيلة سوى نقل العرب من هنا إلى البلدان المجاورة نقلهم جميعاً، ويجب ألا تبقى قرية واحدة أو قبيلة واحدة "[2].

وفي الختام يحق لنا أن نتسائل، كيف يصدق البعض – ومنهم أهل ثقافة وعلم – وبمنتهى البساطة دون دراسة أو تعمق في الوثائق واستقراء أحداث التاريخ أن الفلسطينيين يبيعون أرضهم لليهود؟!!!، فرية تعمدت الدعاية الصهيونية والغربية بل وللأسف عربية أيضاً ترويجها وتعميمها وكأنها حقيقة واقعة لا مجال لتفنيدها؛ ولذلك كان الهدف من وراء تلك الدراسة وهو مناقشة مدى صحة أو زيف ما يقال حول بيع الفلسطينيين أراضيهم لليهود، مستندين إلى الوثائق والأرقام الموثوق فيها والموضوعية قدر المستطاع محاولين التغلب على إشكالية تقول أن جزءاً كبيراً من مصادر المأساة الفلسطينية المكتوب اختفى مع الحروب التي لم تكن حروباً بالمعنى التقليدي، وإنما كانت مشروعاً كبيراً للتطهير العرقي[3] ورغم ذلك فالوثائق والتاريخ والأرقام تحمل في جعبتها الكثير من الحقائق والأسرار بل والمآسى أيضاً.

والله من وراء القصد

أنور محمود زناتي
جامعة عين شمس

(1) مدير دائرة الاستيطان في الصندوق القومي اليهودي ورئيس لجنة الترحيل الرسمية التي كانت تابعة للحكومة الإسرائيلية في سنة 1948.

(2) Wetiz Diary (Central Zionist Archives, Jerusalem), A 246/7, pp. 1090- 1091

(3) Benedict Anderson, Imagined Community (London: Verso, 1983), p. 77

obeikandl.com